Recep Tayyip Erdoğan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi
10 (2016), ss. 65-98.

ABDULLÂH EL-KAL'Î'NİN *MENÂRU SUBULİ'L-HUDÂ VE AKÎDETU EHLİ'T-TUKÂ* ADLI ESERİNİN TANITIMI VE MUKADDİMESİNİN TAHKÎKİ

İsmail Bayer
Artvin Çoruh Üniversitesi İlahiyat Fakültesi
Yrd.Doç.Dr., Arap Dili ve Belagatı

Öz: Makale Ebû Muhammed Abdullâh b. Halîl b. el-Ferec ed-Dımeşkî el-Kal'î'nin (760-833/1359-1430) fihristlerde kaydı bulunmasına rağmen aile kitaplığımız haricinde nüshasını tespit edemediğimiz 133 varaklık *Menâru Subuli'l-Hudâ ve Akîdetu Ehli't-Tukâ* adlı eserinin kısa bir tanıtımını ve mukaddimesinin tahkîkini içermektedir. Eserin en önemli kaynakları el-Gazzâli'nin eserleri ile el-Beyhâkî'nin *Şuabu'l-îmân* adlı hadis kitabıdır. Akâid konularını el-Gazzâlî'ye yakın bir çizgide ahlâk ve tasavvufla birlikte işleyen eserde âyet ve hadislerin yanısıra sahabe ve tabiîn kavillerine, büyük mutasavvıfların sözlerine ve bazen gerçek hayattan alınmış hikâyelere çokça atıf yapılmaktadır. Kitap öncelikle inanç alanında ihtiyaç duyulan araçları açıkladıktan sonra ana inanç konularını fasıllar, fâideler, "i'lem"le başlayan ara başlıklar altında inceler. Son bölüm takvâ ve ahlâk ağırlıklıdır.
Anahtar kelimeler: Abdullah el-Kal'î, Akîde, Menâr, Mukaddime, Tahkîk.

The Presentation of Abdullah El-Kal'î's *Menâru Subuli'l-Hudâ and Aqidetu Ehl'i-Tuqâ* and The Verification of İts Preface

Abstract: This article includes shortly the presention of *Menâru Subuli'l-Hudâ ve Aqidetu Ehl'i-Tuqâ* and its verification that formed in 133 pages but we can not find out it anywhere except of our family library. The most importent sources of al-Kal'î's book are the books of Gazali and Beyhaqi's Shuabu'l-Iman.In this book which hendled the Aqaid's subjects with the Sufi tradition and the morality, he refered to Companions' wiews and Successors' wiews and the Great Sufis' wiews and sometimes to the true stories from the life profusely in addition to the Quranic Verses and the hadiths such as Gazali.This book explains firstly the things about faith and than studies the main subject of the faiths as chapters, subheading and little titles that started with 'i'lem'. In the last chapter, he handled the piety and the morality intensively.
Keywords: Abdullah el-Kal'î, Aqide, Menar, The Preface, The Verification.

التعريف بكتاب منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى لعبد الله القلعي وتحقيق مقدمته من النسخة اليتيمة

ملخص: يشمل هذا المقال على التعريف بكتاب منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى، لعبد الله بن خليل بن الفرج القلعي (760–833/ 1359–1430) وتحقيق مقدمته من النسخة اليتيمة الموجودة في مكتبتنا العائلية. يستهدف الكتاب شرح أقوال الغزالي المحتوية على قواعد العقائد بإطار الوسائل والمقاصد في ترتيب المقدمة والمهمات والتتمة. والملحوظ من الدراسة أن المنار ليس كتابًا في علم العقيدة بمعناه المألوف فحسب بل إنه كتاب عقيدة ممزوج بالرقائق والأخلاق والقيم الإسلامية.
كلمات مفتاحية عبد الله القلعي، عقيدة، منار، مقدمة، تحقيق.

التعريف بالكتاب والمؤلف

أ. سيرة المؤلف ومصنفاته

جمال الدين أبي محمد عبد الله بن محب الدين خليل بن الفرج بن سعيد المقدسي الرمثاوي الدمشقي البرماوي، المعروف بالقلعي (760- 833هـ/ 1359- 1430 م).[1] ولد بقلعة دمشق وتوفي بها بعد أن جاور بمكة مدة طويلة. قال ابن حجر عنه "قرأ على ابن الشريشي[2] وابن الجابي[3] وغيرهما فحمل عن جماعة ودخل مصر وجاور بمكة مدة طويلة ثم قدم الشام فأقام على طريقة حسنة وعمل المواعيد واشتهر. وكان شديد الحطّ على الحنابلة وجرت له معهم وقائع ومات في ربيع الآخر".[4] وعلّق الإمام البقاعي[5] على قول شيخه ابن حجر العسقلاني: "هذا شيخنا الربانيّ الصوفيّ العارف المعروف بالقلعي، كان إمامًا عارفًا مسلكًا مربيًّا قدوة ذا قدمٍ راسخٍ في علم الباطن، مشاركا في الفقه والنحو مشاركة جيدة، أستاذا في علم الكلام، ذا حافظة قوية، مفتوحا عليه في الكلام وفي الوعظ، وله مصنفات منها: منار سُبل الهدى وعقيدة أهل التقى، بحثت عليه بعضه، وأقمت عنده مدة بزاويته، بالعقبة الصغرى، ومات بدمشق يوم الجمعة

---

[1] انظر لسيرة المؤلف: الضوء اللامع للسخاوي، مكتبة الحياة، بيروت، ؛ ج5، ص 18-19؛ إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، حسن حبشي، القاهرة، 1415 ، ج3، ص446؛ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، 1351، ج7، ص203؛ كشف الظنون لحاجي خليفة، استانبول،1941، ج2، ص1827؛ هدية العارفين للبغدادي، استانبول، 1951، ج1، ص244؛ معجم المؤلفين لعمر كحالة ، ط – الترقي، دمشق، 1957؛ ج6، ص56 ؛ الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة الطبعة الأولى، القاهرة، 1424، ص 28 .

[2] ابن الشريشي (694 - 779 هـ/ 1295 - 1378 م).

[3] ابن الجابي(٧٨٧هـ)، برع في الفقه والأصول.

[4] إنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، ج3، ص446.

[5] برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (809-885هـ). أشهر تصانيفه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

عاشر شهر ربيع الأول من سنة ثلاث هذه، رحمه الله، هكذا بلغني وأنا في القدس. "[6]

الوارد إلينا حسب كتب التراجم والفهارس أن له مصنفين. الأوّل منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى والثاني تحفة المتهجد وغنية المتعبد[7]. وقد ألفهما الشيخ القلعي بحرم مكة المشرفة. إلا أننا قد اطلعنا خلال تحقيق المقدمة على اسم مصنف له، غير مذكور في الفهارس. ذكر المؤلف كتابه هذا مرارا ووجه إليه القرّاء للاطلاع على المسائل المفصّلة قائلا: "كان بعض الإخوان من فقهاء مكة وعلمائها قبل ذلك بمدة طويلة لما نظر كتاب الإيمان الشافي والاعتقاد الكافي الذي ألفته بالحرمين الشريفين التمس مني اختصاره وجمع مقاصده .."؛ " وقد شرحت ذلك في كتاب الإيمان الشافي وأفردت للعقل فيه بابا سميته باب سراج الإيمان وبهجة الإحسان وبسطت القول فيه وذكرت فيه عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه قال العاقل من عقل عن الله أمره وصبر على بلوى زمانه."؛ "وإن أردت علومه (آداب القرآن) فعليك بكتاب الإيمان الشافي فقد ذكرت فيه ما يفي ويكفي والحمد لله وحده."؛ " وقد شرحتها وبينت أصل التقوى وفرعها وثمرتها وأحوالها في كتاب الإيمان الشافي فعليك به إن أردت ذلك."[8]

ب. التعريف بمنار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى في علم التوحيد ومعرفة صفات الرب المجيد

لم نقف على أي نسخة للمنار غير نسختنا الموروثة من الأجداد. وهي 133 ورقة، 22 سطر، بمقاس 17×13سم، مكتوبة بقلم يحيى بن محمد الكركري سنة 817 من الهجرة بالحرم الشريف، بمكة المشرفة. يُفهم من نوع الخط ولون المداد أن أكثر التصحيحات عليها للمؤلف والمستنسخ فالتعليقات والقيود عليها قد تزايدت بأقلام مختلفة مدى القرون.

المصادر التي اعتمد المؤلف عليها في المقدمة هي مؤلفات الإمام الغزالي والفقه الأكبر

[6] المرجع السابق، في الهامش.

[7] نسخة التحفة محفوظة في مكتبة الملك سعود.

[8] الجمل مأخوذة من مقدمة كتاب المنار.

للشافعي[9] وشعب الإيمان للبيهقي وبعض التفاسير مثل الطبري والرازي وعلى كتب أخرى. يشير الشيخ القلعي في بعض المواقف إلى الروايات الإسرائيلية بصيغة التمريض مثل "قيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام كيف عرفتني. .." ومن اللافت للأنظار ما يصف بعضَ روايته برواية إسرائيلية صراحةً كحديث "كنت كنزًا ...".

وقد أراد المؤلف كما صرّح في أوّل الأمر شرح نص للغزالي بحجم نصف صفحة الملخص قواعد العقائد بإطار الوسائل والمقاصد في ترتيب المقدمة والمهمات والتتمة. تُدرج المقدمة القارئ بالتنبيهات السبعة وصولا إلى المهمات. وتلك التنبيهات مرتكزة على المعارف وتوفيق الله وحكم التقليد في العقائد. والمقصود بالمعارف هو معرفة الخلق والنظر بالبصر والقلب في المخلوقات ومعرفة الإنسان بنفسه والأجيال السابقة وأحوال الأرض والسماء وما بينهما متعجبا في القدرة الإلهية. وعلى هذا يحصل العلم في القلب بتوفيق من الله. والعلم المراد هنا هو العلم بوجود ذات الله المقدس وربوبيته ووحدانيته وصفات كماله.

يشرح المؤلف بعد مقدمة الوسائل، مهمات في مجال العقيدة وهي المقاصد التي تجب على كل مُكلّف معرفتها الأولى منها معرفة ذات الله والثانية معرفة صفات الكمال الذاتية الثبوتية السبعة أي أن الله تعالى هو القادر العالم الحي المريد السميع البصير المتكلم. والثالثة معرفة صفات الجلال السلبية بتنزيه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله وقدسه من كل عيب ونقص ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان وتنزيه الله من الحدوث والفناء والتكثر والجوهرية والعرضية والجسمية وأما من جهة الأفعال فإنه تعالى لا يخلف وعده ولا يخلق باطلا ولا يبدل القول لديه والرابعة معرفة أفعاله الجائزة.

يسرد المؤلف قواعد الاعتقاد ويناقش أقوالا لا تنطبق عليها تحت عناوين الفصول وما يبدأ

[9] نسبته إلى الشافعي ضعيفة.

بكلمة "اعلم"[10] وهي النبوة والتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى كافة الإنس والجن إلى قيام الساعة وفيما ورد من الآيات والأخبار المشتبهات والمشكلات في صفات الذات كاليد والنزول والإتيان والمعجزات والتحدي وكرامات الأولياء والإيمان بالملائكة والإمامة والخلافة.

تتناول التتمة الموضوعات التالية: الرؤية وكلام الله، صفات أفعاله وحسنها، القضاء والقدر، الموت والروح، عذاب القبر، النفخ والصور، قيام الساعة وأشراطها، الحشر والحساب والميزان والشفاعة والصراط، الجنة وحوض النبي والنار ثم مكانة السنة في الإسلام. وإذا نظرنا في الخاتمة نجد بعض المسائل المتعلقة بالرقائق والتصوف كذكر آداب المريد وأوصاف الشيخ وشروط المقتدى به والذكر التقليدي والحقيقي والتوبة والصدق والإخلاص والورع والوصول إلى ذروة المحبة.

عناوين الفوائد في الكتاب مشتملة على مسائل دقيقة، مثل التمييز بين أسماء الله الحسنى وصفاته وبين الصفات والأفعال. فالحكايات المذكورة فيه تخاطب القلب والمشاعر وتنشط القارئ وتحفزه إلى قبول الحقائق نفسياً.

خلاصة القول إن المنار ليس كتابا في علم العقيدة بمعناه المألوف فحسب بل إنه كتاب عقيدة، ممزوج بالرقائق والأخلاق والقيم الإسلامية.

[10] نقلنا بعض العناوين باختصار.

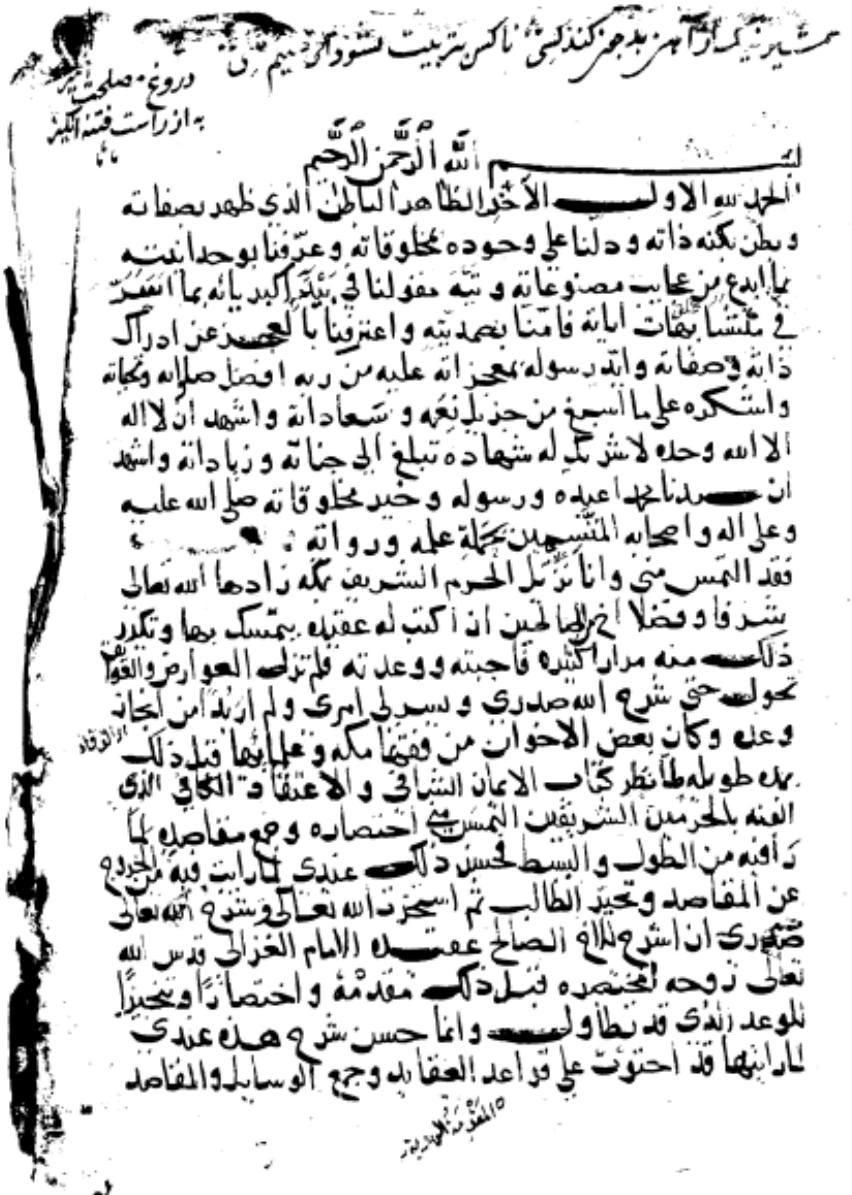

صورة من الديباجة

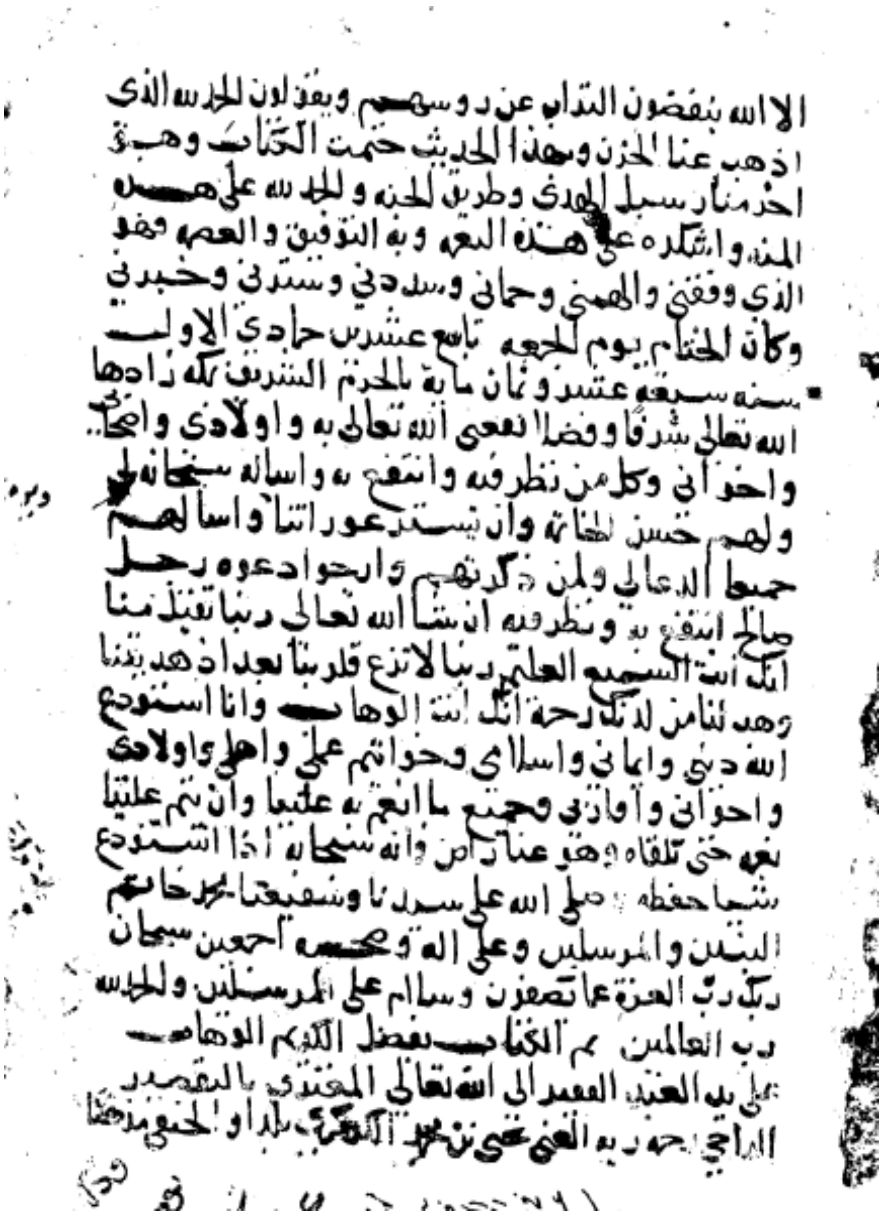

خاتمة الكتاب

تحقيق المقدمة كتاب منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى في علم التوحيد

و

معرفة صفات الرب المجيد

تصنيف الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق العارف المسلك المربي الناصح عمدة الطالبين وقدوة السالكين وَمُربِّي المريدين وبركة المسلمين جمال الدين أبي محمد عبد الله بن الشيخ الإمام العالم العامل المحقق العارف المربي العلامة ولي الله تعالى أبي الصفاء مُحبّ الدين خليل بن الفرج بن سعيد المقدسي ثم الدمشقي نزيل الحرم الشريف المكي الشافعي. نفع الله تعالى به وبعلومه في الدنيا والآخرة، آمين يا رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول الآخر الظاهر الباطن الذي ظهر بصفاته وبطن بكنه ذاته ودلنا على وجوده بمخلوقاته وعرفنا بوحدانيته بما أبدع من عجائب مصنوعاته وتيه عقولنا في بيداء كبريائه بما أسر في متشابهات آياته فآمنا بصمديته واعترفنا بالعجز عن إدراك ذاته وصفاته وأيد رسوله بمعجزاته عليه من ربه أفضل صلواته وتحياته وأشكره على ما أسبغ من جزيل نعمه وسعاداته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ إلى جناته وزياداته وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وخير مخلوفاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المتسمين بحملة علمه ورواته.

وبعد فقد التمس مني وأنا نزيل الحرم الشريف بمكة زادها الله تعالى شرفا وفضلا أخ من الصالحين أن أكتب له عقيدة يتمسك بها. وتكرر ذلك منه مرارا كثيرة فأجبته ووعدته فلم تزل العوارض والعوائق تحول حتى شرح الله صدري ويسر لي أمري ولم أرَ بُدًّا من إنجاز وعده. وكان بعض الإخوان من فقهاء مكة وعلمائها قبل ذلك بمدة طويلة لما نظر كتاب الإيمان الشافي

والاعتقاد الكافي[11] الذي ألفته بالحرمين الشريفين التمس مني اختصاره وجمع مقاصده لما رأى فيه من الطول والبسط فحسن ذلك عندي لما رأيت فيه من الخروج عن المقاصد وتحير الطالب ثم استخرت الله تعالى أن أشرح للأخ الصالح عقيدة الإمام الغزالي[12] قدس الله تعالى روحه المختصرة قبل ذلك مقدمة واختصارا وتنجيزا للوعد الذي قد تطاول. وإنما حسن شرح هذه عندي لما رأيتها قد احتوت على قواعد العقائد وجمع الوسائل والمقاصد.

العلم النافع الذي قال سبحانه فيه" فذاك الذي يقربك إلي"[13] وسماه الشافعي[14] رحمه الله تعالى الفقه الأكبر[15] وصاحِبه هو العارف ومنزلته أعلى من العالم أي بالفروع كما قاله ابن عبد السلام[16] رحمه الله تعالى وغيره فإنه هو الذي يخشى الله ويتقيه ويقدره حق قدره، كما قال ربنا سبحانه ".. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء.."[17] أي بجلاله وجماله وكماله، وكذا قوله سبحانه " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .."[18] أي ما عظّموه حق عظمته لأنهم ما عرفوه حق معرفته فلا يحصل

---

[11] الكتاب غير مقيد في الفهارس. انظر مدخل البحث.

[12] الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (450 ـ 505هـ/1058 ـ 1111م).

[13]قال حجة الإسلام المراد بالعلم في هذه الأخبار كلها العلم النافع المعروف للصانع والدال على طريق الآخرة فهو الذي نفعه عظيم وأجره عميم أوحى الله إلى داود تعلم العلم النافع قال ما العلم النافع قال أن تعرف جلالي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فهذا الذي يقربك إلي (فيض القدير شرح الجامع الصغي، رعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر، 1356، ج 2، ص 18.

[14] أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي المطلبي الشافعي (150-204 هـ/ 767-820 م).

[15] سمى الشافعي رحمه الله كتابه عن العقائد بالفقه الأكبر وأسس الموضوعات على هذا المصطلح مثلما كان في عادة القدماء (نشر هديةً من مجلة الأزهر، جمادى الأولى، 1406؛ الشافعي، محمد بن إدريس، الفقه الأكبر،مخطوط، مكتبة جامعة الملك سعود،214ف10).

[16] أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (578 -660هـ).

[17] فاطر/28.

[18] الأنعام/91؛ الحج/74 ؛ الزمر/67.

للعبد تعظيمه وخشيته المانعة من المعصية والغفلة إلا بهذا العلم وها أنا أشرع فيه بتوفيق الله مستعينا به متوكلا عليه مسترشدا بما رجوت لديه وسميته منار سبل الهدى وعقيدة أهل التقى في علم التوحيد ومعرفة صفات الرب المجيد والله تعالى الموفق والحفيظ والمعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

وأبدأ الأصل أولاً جملة ثم أشرحه مفصلا قال الشيخ الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قدس الله روحه ورزقنا فتوحه: "ثم جملة الأمر أنك إذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وأمعنت النظر علمت أن لنا إلها قادرا عالما حيا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والإرادة مقدسا عن كل نقص وأنه لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء ولا تتضمنه الأماكن والجهات ولا تحله الحوادث والآفات. و(إذا) نظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته فعلمت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمينه على وحيه. وما كان السلف يعتقدونه من أن الله تعالى يرى في الآخرة لأنه موجود وليس في جهة محدودة، وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، وليس بحروف مقطعة، ولا أصوات، إذ لو كذلك لكان من جملة المخلوقات، وأنه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر إلا بقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته، فمنه الخير والشر والنفع والضر والإيمان والكفر، "وأنه لا واجب على الله لأحد من خلقه فمن أثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله. وما ورد على لسان صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط والحوض فهذه أصول درج السلف رضوان الله عليهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الإجماع قبل تنوع البدع وظهور الأهواء، نعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل."[19] انتهى كلامه رحمه الله تعالى في الأصل.

[19] الغزالي، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحيا169، 184، 197ء من الأخبار زين الدين أبو الفضل العراقي (720-806ه)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، →

الشرح: اعلم أن كلام حجة الإسلام مُرتب على مقدمة و مهمات وتتمة المقدمة فيقوله رحمه الله تعالى "ثم جملة الأمر أنك إذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى وأمعنت النظر علمت أن لنا إلها" تضمنت نفائس أنبه منها على تنبيهات.

أولها (التنبيه الأول)

قوله رحمه الله "ثم جملة الأمر" أي الذي عليه مدار الأمر كله في جميع ما خلق الله تعالى من العالم العلوي والسفلي معرفة الخلق ثم كيف يعبد لأن الله تعالى ما خلق شيئا إلا بحكمة كما قال سبحانه "وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ"[20] فتبين أن ما خلق الله تعالى المخلوقات كلها إلا ليعرف ويعبد لأنه لو لم يخلق شيئا كما كان في أزليته لم يعرفه أحد سواه كما ورد في الحديث الإسرائيلي "إن الله تعالى قال كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فبي عرفوني"[21] وقوله سبحانه " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[22] ".. إلا ليعبدون "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ.. "[23] الاية. فيهما أعظم دليل في حكمة خلق الأشياء. ومنها أمره سبحانه بهما لسيد العارفين عليه الصلاة والسلام أمرا عظيما مزعجا حتى شيبته بقوله سبحانه " فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .."[24]

2005، ص 106، 107؛ قواعد العقائد لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، 1405هـ - 1985م، ص53، 62، 145، 146، 162،

[20] الأنبياء، 16؛ الدخان، 38.

[21] "كنت كنزا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا فعرفتهم بي فعرفوني" وفي لفظ "فتعرفت إليهم فبي عرفوني". قال ابن تيمية ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف (العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، مكتبة العلم الحديث،ج 2، ص 155، رقم الحديث: 2016).

[22] الذاريات، 56.

[23] الطلاق، 12.

[24] هود، 112.

التنبيه الثاني

قوله رحمه الله تعالى "أنك إذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى" المراد بالنظر الفكر بالقلب، والقصد به بيان الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وذلك من وجهين أحدهما السمع، أي لما جاء في كتابه العزيز وأخبره به السفير بينه وبين خلقه صلى الله عليه وسلم في سنته الشريفة. الثاني النظر والاستدلال ومعناه أن العاقل ينظر ويتفكر بقلبه في المخلوقات وعجائب المصنوعات من الأرض والسموات فيستدل بتغيرها واختلافها ونقصها وزيادتها على أنها حادثة وأن لها خالقا وصانعا قديما أحدثها وأتقنها بقدرته وحكمته وإرادته وعلمه و قد أمرعباده بمعرفته وعبادته ووعد من أطاعه بجنته وأوعد من عصاه بناره وعقوبته فالخالق والصانع هو الله سبحانه وحده لا شريك له رب العالمين والعالم كل ما سواه. وقد أرشد الله تعالى إلى هذا النظر والاستدلال وحث عليه في قوله سبحانه " أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ.."[25] ومعناها أفلم يتفكروا في عجائب مصنوعاتي وفي كل شي خلقته في السموات والأرض وفي أنفسهم وتركيبهم وتسويتهم وتعديلهم، كما قال سبحانه "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[26] "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ"[27] ففي كل آية من ذلك ما يدلهم على وجودي ووحدانيتي وأزليتي وأبديتي وعظمتي وصفاتي فسبحانه له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وفي كل آية أعظم دلالة "يا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد/ وله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد / وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد"[28] فتبين أن الآيات الدالة على معرفته سبحانه متلوة ومجلوة ويفهم ذالك من إطلاق الشيخ رحمه الله تعالى فقد بان

---

[25] الأعراف، 185.

[26] الذاريات، 21.

[27] الذاريات، 20.

[28] وفي ديوان أبي العتاهية (130-210) فيا عجبا كيف يعصي الإله أم كيف يجحده الجاحد ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد. (ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، 1986 ، ص 122).

لك أن الطريق إلى معرفته سبحانه شيئان السمع والعقل. وأما الطريق إلى عبادته فهو السمع فقط. وعلى العقل التسليم والانقياد حتى يظهر له وجه الحكمة ولا يعرف وجه الحكمة في الحفظ وكيفية العبادة وآدابها إلا من قبل الشارع. فمن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث و(لم) يعرف أسرارهما ومقاصد الرسول صعم في حديثه وإشاراته لا يصلح أن يكون شيخا ولا مسلكا، ولا يجوز أن يقتدى به، كما صرح به تاج العارفين أبو القاسم الجنيدي[29] رحمه الله تعالى وغيره من الأئمة ولا يدرك التعبد بالعلم الإلهي. فإن ذلك من خاصية الرسالة وسرها. ومن ادعى ذلك من جملة الصوفية، وأنه استغنى بالإلهام عن النظر في الشريعة والسنة وحفظهما والحديث عنهما والتعلم والتعليم فهو من الخاسرين الضالين المضلين، كما صرح به حجة الإسلام،[30] وليس بصوفي. وإنما نسبناه إلى ذلك لدعواه الكاذبة (وليس ما يدعيه إلهاما- تصحيح من المؤلف-) وإنما ذلك وسوسة وغرور من الشيطان فهو الذي لبس عليه وغرّه حتى صار فتنة للعامة والفقراء من العلم. وذلك أعظم الفتنة كما قاله الإمام سفيان الثوري[31] رحمه الله تعالى وحذر منه. وذلك من رواية[32] الإمام البيهقي،[33] فنعوذ بالله من هذا الغرور والزور ومن هذه الفتنة التي عمّت وطمت، لاسيما في هذا العصر فالله المستعان.

---

[29]البغدادي، سيد الطائفة، جنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي أبو القاسم القواريري الزاهد الحنفي ومفتي الثقلين(ت298ه). (حديث مقطوع) سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ هَارُونَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْمُفِيدَ ، يَقُولانِ : سَمِعْنَا أَبَا الْقَاسِمِ الْجُنَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ غَيْرَ مَرَّةٍ ، يَقُولُ : " عِلْمُنَا مَضْبُوطٌ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْآنَ ، وَلَمْ يَكْتُبِ الْحَدِيثَ ، وَلَمْ يَتَفَقَّهْ لا يُقْتَدَى بِهِ". (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي،الطبعة الرابعة ، بيروت، 1405، ج 10، ص 255).

[30] الغزالي.

[31]الثوري : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الكوفي الثوري الفقيه (97 – 161ه).

[32]الجامع لشعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت، 1410،ج 2، ص 297.

[33]البيهقي : أحمد بن الحسن بن علي بن عبد الله البيهقي أبو بكر الخسرو جردي الشافعي الفقيه (384-458ه).

تنبيه: اعلم أن قوله إن الطريق إلى معرفة سبحانه السمع والعقل؛ المراد بالسمع: العلوم الشرعية وهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لا يحصل إلا بتعلم الكتاب والسنة كما سبق وفهم معانيهما بعد السماع، وبه كمال صفة القلب وسلامته من الأمراض والأعراض فلا يمكن علاجها إلا بأدوية مستفادة من الشريعة. وهي لطائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء عليهم الصلوة والسلام لإصلاح القلب. فمن لم يداو قلبه بها واكتفى بالعقل هلك. والمراد بالعقل: العلوم العقلية، ويراد بها ما يحصل من غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع لكن لا يثبت به شيء ولا استعلال له. وإنما يدرك الحسن والقبح بواسطة الشرع وإرشاده وأعني بالحسن والقبح في كون الأفعال الاختيارية، لمتعلق المدح أو الذم عاجلا والثواب والعقاب آجلا، لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع. هذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة المبتدعة، سلمنا الله من البدع. وقد علم مما سبق أن مجرد العقل لا يهدي إلى الشرع، ولا يجب علينا شيئ إلا بالسمع. وهو أن يرد الأمر من الله سبحانه تعالى كما نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى واستدل بقوله سبحانه "..وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً "[34] فهذا هو المراد بالسمع والشرع، ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل (ولا غنى بالعقل عن السمع ولهذا جعله الشافعي شرطا مع السمع – صح) ولا غنى بالسمع عن العقل في وجوب معرفة الله تعالى مضافا إلى البلوغ نصا في الثلاثة. وقال بعضهم ولا يدرك الشرع إلا بالعقل. قلت فهو نور البصيرة الباطنة التي (الذي – صح) يعرف بها (به – صح) الرب وصفاته وصدق الرسول صعم وهو نور الإيمان وسراجه ونورالعلوم كلها. وهو تمتد له الشجرة والإيمان ثمرته. وهو كالنور من الشمس. وهو لسان الروح وجوهره، أعني الروح المتحملة للأمانة. ومنها يفيض نور العقل وفي نور العقل يتيقن الإيمان في القلب. وكذا جميع العلوم فالقلب كاللوح للإيمان. ويقال في حده إنه قوة غريزية في النفس بها يتهيأ ويستعد لإدراك العلوم النظرية. وكأنها نور منبعث من القلب يحصل به العلم والإدراك. وبهذا العقل تميُز الإنسان عن سائر الحيوانات

[34] الإسراء/15.

وأكرم. قال الله تعالى "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ .."[35] ولهذا يحتاج الإنسان إلى مُحايدة النفس دائمًا، لما سلط عليه من الشهوة ودواعيها التي هي من جنود الشياطين مع العقل الذي هو من حزب الله تعالى وجنود الملائكة. فالصبر من خواص الإنسان فلا يتصوّر لملك ولا لبهيمة وبالمجاهدة والصبر يلتحق بالملائكة فمن غلب عقله على شهوته التحق بهم ومَن لم يجاهد نفسه حتى يكسر شهوته فلا يتهيأ قلبه لنقش الإيمان والعلوم فيه لأنّه مُظلم من المعاصي وغلبة الشهوة فما تطهر بالتقوى ولا صفا حتى ينجلي فيه نورالإيمان والعلوم، كما قيل إن حصول العلم في قلب الصبي قبل العقل ممتنع، لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد، لقبول العلوم. وكذا من تهيأ بالبلوغ قلبه لكنه مظلم من المعاصي،[36] كما سبق. وقد أشار النبي صعم إلى هذا بقوله "من قارف ذنبا فارقه عقل لا يعود ألبتة أبدا"[37] أي حصل في قلبه ظلمة وكدر لا يزال أثرهما فيه أبدا. كذا فسره الحجة[38] فنعوذ بالله من ظلمه المعاصي و نسأله توبة نصوحا لا ينكثها أبدا حتى وصل إلى درجة العلماء العقلاء فإن من عصى الله فليس بعالم ولا عاقل كما قال النبي صعم لما تلا هذه الاية ".. وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ "[39] مع ما قبلها، ثم قال "العالِمُ الَّذي عقَلَ عن اللهِ تعالى فعمِلَ بطاعَتِهِ واجتَنب سَخَطَه"[40] وعنه صعم أنه قال" فالقِرَدةُ والخنازيرُ أعقلُ عند اللهِ تعالَى ممَّن عصاه ، ولا تغترُّوا بتعظيمِ أهلِ الدُّنيا إيَّاكم فإنَّكم (فإنهم) من الخاسرين "[41] أو بنحو ذلك (فإنهم) وفي الحديث أيضا "أتمكم عقلا أشدكم لله خوفًا وأحسنكم فيما أمر به ونهي عنه نظرا وإن كان أقلكم

---

[35] الإسراء/ 70.

[36] الغزالي، إحياء، 101.

[37] العراقي: لم أر له أصلا، ص 889.

[38] الغزالي.

[39] العنكبوت/43.

[40] بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، 1413، كتاب الأدب، الفصل التاسع، ج 2، ص 812.

[41] العراقي، تخريج الإحياء، ج1، ص117، خلاصة حكم المحدث : فيه داود بن المحبر أحد الضعفاء.

تطوعًا"[42] ومن رواية البيهقي مرفوعا "الناس يعملون بالخير وإنما يعطون أجورهم على قدر عقولهم"[43] وفي الحديث المرفوع "يا أيها الناس اعقلوا عن الله أمره وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه"[44] وفي القرآن العظيم مدح العقل كثير. قال مجاهد[45] في قوله سبحانه " هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ "[46] قال: لذي عقل[47] وقال الضحاك[48] في قوله تعالى "لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا ..."[49] قال مَن كان عاقلا[50] " وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ "[51] الآية وفي الشعب من رواية أبي الدرداء رضي الله عنه قال : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل كيف عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه فإن قالوا غير ذلك قال لم يبلغ صاحبكم حيث تظنون"[52] فدل ذلك على أن كثرة العبادة لا عبرة بها في رفع المنزلة عند الله تعالى إنما العبرة بالخشية والزهد فبهما يصير أعقل الناس والحديث "كم من عاقل عقل عن الله أمره.."[53] مشهور وفي حديث يزيد بن هارون "من كان علمه أكثر من عقله خشيت عليه ومن

---

[42] العراقي، تخريج الإحياء، ج4، ص199، خلاصة حكم المحدث :لم أقف له على أصل.

[43] ابن حجر العسقلاني، المطالب العالية، ج 3، ص 206، خلاصة حكم المحدث :مرسل.

[44] العراقي، تخريج الإحياء، ج 1، ص 117، خلاصة حكم المحدث: فيه داود بن المحبر أحد الضعفاء.

[45] مُجاهِد بْن جَبْر (21-104 هـ - 642-722م) مولى السائب بن أبي السائب المخزومي القرشي.

[46] الفجر/5.

[47] تفسيرالطبري جامع البيان عن تأويل آي القرأن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،الطبعة الألى، القاهرة، 2001، 24، 360.

[48] الضحاك بن الهلالي، الخراساني، من صغار التابعين توفي بعد 100 هـ.

[49] يس/70.

[50] تفسيرالطبري، ج19،ص481.

[51] الملك/10.

[52] شعب الإيمان، ج4، ص157.

[53] كم من عاقل عقل عن الله أمره وهو حقير عند الناس دميم المنظر ينجو غدا وكم من ظريف اللسان جميل المنظر عظيم الشأن هالك غدا في يوم القيامة. (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989، رقم الحديث: 5940.

كان عقله أكثر من علمه رجوت له"[54] رواه ق[55] ومن روايته "لما خلق الله تعالى العقل قال له ما خلقت خلقا خيرا منك ولا أكرم منك ولا أفضل منك ولا أحسن منك بك آخذ وبك أعطي وبك أعز وبك أعرف وبك أعاتب بك الثواب وعليك العقاب"[56] ومن روايته مرفوعا. وكذا ما قبله..."إن لكل شيئ معدن ومعدن التقوى قلوب العاقلين"[57]

فائدة إنما سمي العقل عقلا، لأنه يعقل صاحبه عن الجهل والمعصية والغفلة. قال الحسن[58] رحمه الله "ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه" وقال ذو النون[59] رحمه الله "من أراد طريق الآخرة فليكثر محادثة الحكماء ومجالستهم وليكن أول ما يسأل الحكيم عن العقل فإن جميع الأشياء لا تُدرك إلا بالعقل"[60] وقال أيضا "مَن أحبّ الله عاشَ ومَن مالَ إلى غير الله طاش والأحمق يغدو ويروح في لا شيء والعاقل عن خواطر نفسه فتاش"[61] وروى ق[62] حديثا موقوفا "قال كيف يكون عاقلا مَن يطلب بأعمال طاعته من المخلوقين ثوابا عاجلا أم كيف يكون عاقلا من كان بعيوب نفسه جاهلا وفي عيوب غيره ناظرا أم كيف يكون عاقلا[63].. مَن كان في قلة الحياء من الله عز اسمه متماديًا"[64] وقال الفضيل[65] رحمه الله تعالى "على كل شيء زكاة وزكاة العقل طول

---

[54] شعب الإيمان ج4، ص167.

[55] البيهقي.

[56] شعب الإيمان،ج4، ص154.

[57] شعب الإيمان، ج4، ص158.

[58] الحسن بن يسار البصري (21-110/642-728).

[59] ذوالنون المصري ثوبان بن إبراهيم، أبو الفيض، ذو النون، من أعلام التصوف (179-245/796-859).

[60] شعب الإيمان، ج4، ص162.

[61] شعب الإيمان، ج4، ص163؛ ج7، ص418.

[62] اختصار للبيهقي.

[63] أسقط من النص: ..من لم يكن لما يراه في نفسه من النقص و أهل زمانه محزونا باكيا أم كيف يكون عاقلا.

[64] شعب الإيمان، ج4، ص164.

[65] فضيل بن عياض ، من أعلام التصوف (ت187هـ)

الخوف"[66] وعن وهب بن منبه[67] رحمه الله تعالى قال في حكمة آل داود "حق على العاقل (ما على العاقل) أن لا يشتغل[68] عن أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويَصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه ولذاته فيها يحل ويجمل. فإن هذه الساعة عون على هذه الساعة وإجمام للقلوب وفضل يلقاه وعلى العاقل أن يكون عالما بزمانه ممسكا للسانه ومقبلا على شانه"[69] وقد شرحت ذلك في كتاب الإيمان الشافي وأفردت للعقل فيه بابا سميته باب سراج الإيمان وبهجة الإحسان وبسطت القول فيه؛ وذكرت فيه عن الإمام مالك[70] رحمه الله تعالى أنه قال "العاقل من عقل عن الله أمره وصبر على بلوى زمانه".[71] وأختم هذا التنبيه بما ختمت به باب سراج الإيمان بحديث منصور بن المعتمر[72] "اللهم أجمع على الهدى أمرنا واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا وارزقنا شكرا يرضيك عنا وورعا يحجزنا عن معاصيك وخلقا نعيش به في الناس وعقلا تنفعنا به وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم والحمد لله رب العالمين".[73]

التنبيه الثالث

في أصول الدلائل التي بها يتوصل إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وتربيتها والزيادة منها. أما أصولها فخمسة:

---

[66] شعب الإيمان، ج4، ص164 (ورد في الشعب "طول الحزن" بدل من "طول الخوف").

[67] وهب بن منبه (34-114هـ).

[68] في شعب : يشغل.

[69] شعب الإيمان، ج4، ص164.

[70] الإمام مالك بن أنس، (93-179/715-796).

[71] شعب الإيمان، ج4، ص166.

[72] منصور بن المعتمر بن عبد الله بن ربيعة (ت 132هـ).

[73] شعب الإيمان، ج4، ص170.

– أحدهما معرفة الإنسان بنفسه وذاته. ففي الحديث "من عرف نفسه فقد عرف ربه"[74] قيل معناه من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة عرف الله خالقا ورازقا بالحول والقوة. وفيه معنى آخر: إنما يقع الناس في البدع والضلالات لجهلهم بأنفسهم وظنهم أنهم يملكون لها ضرًّا ونفعًا، فإذا كان مَن عرف نفسه عرف ربه، كان من جهل نفسه جهل ربه. قيل "أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام كيف عرفتني وكيف عرفت نفسك فقال عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء وعرفت نفسي بالعجز والضعف والفناء، فقال سبحانه الآن عرفتني"[75] الثاني معرفة بآبائه وأجداده. الثالث معرفته بأحوال الأرض. الرابع استدلاله ومعرفته بأحوال السماء. الخامس الاستدلال بأحوال ما تولد بينهما. وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك بقوله سبحانه " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ

---

[74] " من عرف نفسه فقد عرف ربه " جاء في كشف الخفاء ما يلي: قال ابن تيميه موضوع
وقال النووي ليس بثابت وقال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع إنه لا يعرف مرفوعا وإنما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي يعني من قوله وقال ابن الغرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت قال لكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محي الدين بن عربي وغيره قال وذكره لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح الجامع الصغير للسيوطي بأن الشيخ محي الدين بن عربي معدود من الحفاظ وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محي الدين قال هذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية فقد صح عندنا من طريق الكشف. وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه " القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه " وقال النجم قلت وقع في أدب الدين والدنيا للماوردي عن عائشة سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه قال أعرفهم بنفسه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق يوسف بن محمد، مكتبة العلم الحديث، رقم الحديث: 2532).

[75] يروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود اعرفني واعرف نفسك ، فتفكر داود فقال :إلهي عرفتك بالفردانية والقدرة والبقاء ، وعرفت نفسي بالعجز والفناء ، فقال : الآن عرفتني ، وروي في الخبر :لو عرفتم الله تعالى حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل ، ولزالت الجبال بدعائكم ، مع أنه لا ينتهي أحد ولا يبلغ منتهى معرفته ، إن الله تعالى أعظم من أن ينتهي أحد إلى منتهي معرفته ، وقال الإمام جعفر الصادق عليه الرضوان والسلام : لا يعرف الله حق معرفته من التفت منه إلى غيره.(حالة أهل الحقيقة مع الله، أحمد الرفاعي، تحقيق صلاح عرام، مؤسسة دار الشعب، 1998، الحديث الإول).

تَعْلَمُونَ. "[76] فهذه أصول الدلائل. وأما ترتيبها فمختلف في الكتاب العزيز. ففي هذه الآية المذكورة من سورة البقرة ابتداء من الأعرف فالأعرف نازلا إلى الأخفى فالأخفى في الدلائل. وفي سورة النعم، أعني سورة النحل، ابتداء بالأشرف فالأشرف نازلا إلى الأدنى فالأدنى. قال الرازي رحمه الله تعالى وذلك لأنه تعالى ذكر المطلوب أوّلاً. فقال سبحانه " يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ "[77] الآية. ثم انه من ابتداء ذكر دلائل الصانع بالسموات إلى آخره، وقال في الترتيب السابق "ان السبب فيه هو أن أظهر الأشياء لكل أحد نفسه، ثم أبوه وأجداده، ثم الأرض التي هي مسكنه، ثم السماء التي هي في غاية البعد عنه، ثم الأحوال التي لا تتولد إلا بمجموع الأرض والسماء. وهو المراد بقوله ".. وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء .."[78] الآية انتهى"[79] أما الزيادة فالفكر في الدلائل القرآنية المغنية عن العقلية. فينبغي و يتعين الإكثار منه والمداومة عليه. ونفهم ذاك من قول المصنف "وأنعمت النظر" و في نسخة "وأمعنت" وأنا أذكر لك شيئا من القرآن في دلائل التوحيد، فتحا للمبتدئ كقوله سبحانه "أفلا ينظرون إلى الأبل كيف خلقت"[80] الآيات " وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[81] الآيات " [1] سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ "[82] الآية " أَمْ خُلِقُوا

---

[76] يالبقرة / 21-22.

[77] النحل/2.

[78] البقرة / 22 .

[79] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، في تفسير الآية المذكورة. التفسير الكبير
الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل دار الفكر بيروت الطبعة الثانية، 1981، ج19 ص228؛ ج2، ص90.

[80] الغاشية/17.

[81] الرعد/4.

[82] فصلت/53.

مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" الآية. قال الشافعي رحمه الله تعالى في معناها "أم خلقوا من غير خالق خلقهم أم هم خلقوا أنفسهم"[83] فبين أن المخلوق لا بدّ له من خالق. وفي ما ذكرته للمتبصر كفاية. والمطلوب من هذه الأدلة كلها إثبات التوحيد ونفي الشركاء والأنداد ورسوخ الإيمان الحقيقي في القلوب وزيادته وانشراح الصدر حتى يتشعشع فيه نور الإيقان ويظهر أثره على الجوارح والأركان؛ فيلزم العبودية والهيبة للرحمان وترك الغفلة والعصيان. ولا يحصل ذلك إلا من القرآن. فعليك بحفظه وتلاوته وملازمته مرتلا متدبرا لمعانيه، مفكرا في عجائب ما فيه، باحثا عن آياته ومثانيه. وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه "اقرؤا القرآن وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة"[84] وفي رواية أخرى عنه "لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب"[85] فإن أردت يا أخي معرفة آدابه وأحواله فعليك ب"التحفة"[86] فقد ذكرت فيها من آداب القرآن العظيم ما تقر به عينك. وإن أردت علومه فعليك بكتاب الإيمان الشافي فقد ذكرت فيه ما يفي ويكفي والحمد لله وحده.

التنبيه الرابع

اعلم أنه ليس في كلام المصنف تصريح بوجوب النظر في الدلائل. فهل يكون المؤمن في صحة إيمانه اعتقاد الحق الواجب عليه في معرفة الله تعالى وتصديق قلبه بذلك بتقليد العلماء من غير أن يتعلم الدلائل ويفكر فيها حتى يعرف ربه، أو لا يصح إيمانه بالتقليد بل يجب عليه التعلم والنظر في الدلائل السمعية والعقلية، أو في أحدهما حتى يحصل في قلبه العلم. وهو الجزم والقطع بحيث لا يتطرق إليه احتمال النقيض ولا التشكيك أبدا. فاعلم أن في ذلك اختلافا بين العلماء. وأنا أذكر لك الصحيح منه والكافي وأقدم على ذلك شرح هذه الألفاظ ليتضح كل

[83] الشافعي، الفقه الأكبر، 4أ.

[84] شعب الإيمان، ج2 ، ص360.

[85] شعب 2الإيمان، ج2، ص360.

[86] من مؤلفات المؤلف، انظر مدخل البحث.

المقصود. فأما الاعتقاد فأوضح ما يقال في حده أنه صفة قائمة بالقلب يصح معها الجزم من غير تردد في الحال إلا أنه عن غير بصيرة. ولذلك لو أصغى المعتقد إلى المشكك لوجد النقيض. وأما العلم فأوضح ما يقال فيه أنه صفة قائمة بالقلب تكشف المعلومات عن قطع لا تردد فيه، وعن بصيرة لا اشتباه فيها، ولا تحمل النقيض أبدا. وذلك لا يحصل إلا بالنظر والأدلة القاطعة. وأما الاعتقاد الجازم فقد يحصل بذلك وقد يحصل بالتقليد. ومعناه كما قال الشافعي رحمه الله تعالى "إنه قبول قول من لا يدري ما قال من أين قال وذلك لا يكون علما"[87] وقال الشافعي رحمه الله تعالى "واعلموا أسعد كم الله أن كل مكلف مأمور بمعرفة الله سبحانه ومعنى المعرفة أن يعلم المعلوم على ما هو عليه بحيث لا يخفى عليه من صفات المعلوم شيئ وبالظن والتقليد لا يحصل العلم والمعرفة والدليل عليه قوله سبحانه "فاعلم أنه لا إله إلا الله"[88] "..وأمر بالمعروف.."[9089] وقال "إن أول الواجبات على المكلف النظر"[91] والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ولا يوصل إلى معرفته إلا بالنظر والاستدلال فقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله تعالى إلى الاكتفاء بالاعتقاد في حق العامة وعدم الاكتفاء به في حق الخاصة بل لا بد لهم من النظر ليحصل لهم العلم فإنه قال في أثناء كلامه "فإن الله تعالى كلف الخاصة أن يعرفوه بالأزلية والأبدية والتفرد بالإلهية؛ وأنه حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم صادق في إخباره وكلف العامة أن يعتقدوا ذلك لعسر وقوفهم على أدلة معرفته"[92] انتهى. وقد علمت بما سبق أن الاعتقاد قد يكون عن نظر واستدلال، وقد يكون عن تقليد وظن. وإذا حصل التصديق بالقلب بقواعد العقائد التي

---

[87] الشافعي، الفقه الأكبر، 10، 1ب.

[88] محمد /19.

[89] لقمان/17.

[90] الشافعي، الفقه الأكبر، 1أ.

[91] الشافعي، الفقه الأكبر، 2ب.

[92] عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المحقق : مجمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف، بيروت ،ج 1، ص 170.

يأتي شرحها كان إيمان المكلف صحيحا. فإن تصديق القلب زائد على الاعتقاد الاستدلالي والتقليدي، ولا بد منه، فلا يكفي مجرد الاعتقاد، كما نقل عن الجمهور. فإذا فهمت ما سبق علمت أن كلام ابن عبد السلام يقتضي تخصيص كلام الشافعي رحمهما الله تعالى. فإن الذي عليه المحققون قاطبة موافق لقول ابن عبد السلام رحمه الله تعالى. وأنا ألخص لك من الكل ما يكفيك. فاعلم أن تلخيص قولهم عن مذهب السلف؛ أن المكلف إذا صدق بقلبه تصديقا جزما، لا توقف فيه، ولا تردد ولا شبهة، بأن الله تعالى هو الرب المعبود الخالق الرزاق المدبر، وحده لا شريك له، ولا شبيه له، قديم أزلي أي لا أول لوجوده، أبدي أي لا نهاية له، وصدّق بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله، وصدق بكل ما أخبر به من صفات الله عز وجل ومن أمور الآخرة وغير ذلك من غيرتفصيل ولا بحث عن حقيقة صفاته سبحانه كان مؤمنا حقا، ولا يجب عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون .وإنما يجب على العلماء من ذلك بقدر ما يحصل به دفع الشبهة لكل واحد منهم عن نفسه وغيره وتصفية الاعتقادات وحفظ القلوب من الوساوس الواردة عليها. فإن ذلك من فروض الكفاية، فهو خاص بالعلماء. وأما عوام الناس فلا يجب عليهم النظر في الدلائل ولا ينبغي لهم، وقد يحرم. وبين العوام والخواص طبقة أخرى من المتعبدين والمتعلمين ممن عنده أهلية النظر من صقالة ذهنه وجودة فطنته. فهذه الطبقة وإن لم يجب عليهم النظر لكمال التصديق بقلوبهم، فلا أقل من أن يستحب لهم للخروج من الخلاف، كما أشار إليه بعض الأئمة الأعلام. قلت: وإن فهم من كلامه أن مراده النظر في بعض الأدلة العقلية، وذلك غير مفتقر إليه؛ بل في الأدلة السمعية عينه كما سبق من الحث في آيات القرآن العظيم، فأكثِرْ منها وتنعم واستشف واستغنِ بها عن قيل وقال وكثرة السؤال. ففي كلام الله الكبير المتعال؛ ما يشرح الصدر ويصلح الأعمال – والحمد لله على كل حال –واشتغل بالتقوى كما أمرت، لا بالفضول والجدال. قال الحجة رحمه الله تعالى "والصواب للخلق كلهم إلا شاذ النادر سلوك مسلك السلف في الإيمان بالرسل والتصديق المجمل بما أنزل الله تعالى وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير بحث ولا تفتيش والاشتغال بالتقوى. ففيه شغل شاغل إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى أصحابه رضي الله عنهم يختصمون بعد أن غضب واحمرت وجنتاه "أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله

تعالى بعضه ببعض. انظروا ما أمركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا"[93] والحمد لله الذي بعثه بالحقيقية السمحة.

التنبيه الخامس

قد سبق أن المراد بقول المصنف "..أنك إذا نظرت في دلائل صنع الله تعالى.."[94] الفكر بالقلب .وذلك لا ينفي النظر بالبصر بل في القرآن ما يدل على ذلك ويحث عليه. ففيه عبرة وبه يتوصل إلى الفكرة والتعجب في القدرة. قال الله تعالى ".. انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ.."[95] " قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.."[96] " أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"[97] " [1]أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ "[98] وفي سنن عن النبي صعم أنه قال "أوصاني ربي من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال: بخشية الله في السر والعلانية، وأن أصل ما قطعني، وأصفح عمن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة."[99] فنزه نظرك يا أخي في أفعال الله تعالى وعجائب مصنوعاته وآياته، وانظر كيف

---

[93] في ابن ماجه: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يختصمون في القدر . فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب . فقال " بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم ؟ تضربون القرآن بعضه ببعض . بهذا هلكت الأمم قبلكم" (سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت).

[94] سبق.

[95] الأنعام/99.

[96] يونس/101.

[97] الحج/46.

[98] الحج/63.

[99] ذكره الألباني في مشكاة المصابيح برقم (5358) وقال: لم تتم دراسته. ورواية المصنف بحسب الألفاظ موافق لرواية المراكشي المذكورة في تفسير البقاعي (في تفسير سورة التوبة، 43) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت، →

ينشئ السحاب على الهواء ويسقي أرضا دون أرض فتنبت الأحمر والأصفر والأسود والأخضر وسائر الألوان والحلو والحامض والمر والمُرّ والطيب والمنتن والشفاء والسم كل ذلك من ماء واحد، وفي وقت واحد، من بذر واحد. فانظر ثم فكر واعتبر وأكثر. وفي قوله سبحانه "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ."[100] أعظم عبرة وأجل دليل على الوحدانية والقدرة، ففكر فيها وفيما قبلها وبعدها من الآيات. وقد ذكرسبحانه التفكر بالقلب والنظر بالأبصار في معرض المدح فقال " [1]إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ "،[101] " يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ "[102] وأيضا ذم المعرضين فقال " وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا "،[103] " ..لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا .."[104] وقد ذم التقليد (سبحانه) فقال حكاية عن الكفار " .. إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ .. "[105] الآية وقال سبحانه (الله سبحانه) ".. بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ "[106] وهذه الآيات ونظائرها يستدل بها القائلون بوجوب النظر فلا أقل من الاستحباب وكيف بعد ذلك يترك المؤمن العابد التدبر والتفكر في آيات الكتاب وقد قال سبحانه " أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا"[107]، "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ

1405،كتاب الرقائق، باب التوكل، رقم الحديث : 5358، ج 3، ص 162؛ : البيان والتبيين، اليبيان والتبيين للجاحظ – ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دار صعب، الطبعة الأولى ، بيروت، 1968، ص 224.

[100] الروم/22.

[101] آل عمران/190.

[102] النور/44.

[103] يوسف/105.

[104] الأعراف/179.

[105] الزخرف/22.

[106] البقرة/170.

[107] النساء/82.

أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"[108] . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ"[109]. ولا يقوى الإيمان إلا بالتقوى فتدبر القرآن والفكر في محكم البيان لا بالدليل العقلي والبرهان فعليك بهما والله المستعان.

التنبيه السادس

في ثمرة النظر في دلائل صنع الله تعالى

وهو حصول العلم في القلب بوجود ذات الله المقدّسة وبربوبيته وبوحدانيته وبصفات كماله ودلائله بحيث يزول من القلب كل شبهة ويُسلِّم من كل بدعة. وهو صريح من كلام الحجّة فتفهمه. ثمّ اعلم أن القلب لا يحصل فيه هذا والعلم والمعرفة التامة والعقيدة الصحيحة السليمة إلا إذا كان حيًّا بذكر الله وهو القلب المزين بالتقوى فلا تفوز بمعرفة الله والعلم الحقيقي النافع وتنجو من الشبهة والبدع والأهواء إلا بالتقوى وبها تسلم من المعصية والغفلة والبلوى. ودرجات التقوى ثلاث: دنيا ووسطى وعليا. فأدناها: ترك المحرمات وفعل الواجبات. وأوسطها: ترك المكروهات والشبهات. وأعلاها: ترك ما لا يعني مع الفضلات. روى الترمذي بسنده عن النبي صعم أنه قال "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به بأس"[110]. ففيه إشارة إلى أن لها درجات. وقد شرحتها وبينت أصل التقوى وفرعها وثمرتها وأحوالها في كتاب الإيمان الشافي. فعليك به إن أردت ذلك. فبان لك أنك لا تنال العلم بالله تعالى بمجرد النظر والاستدلال. إنما تناله بالتقوى. فهي باب الإيمان. والدليل عليه قوله سبحانه " وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ "[111] وقوله سبحانه ".. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا "[112] الآية. قيل في تفسيرها "يجعل له

---

[108] محمد/24.

[109] ص/29.

[110] سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، 2451.

[111] البقرة/282.

[112] الطلاق/2.

مخرجا" من الشبه والإشكالات "ويرزقه من حيث لا يحتسب" يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة.[113] وقوله سبحانه "إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ.."[114] قيل يجعل للمتقي نوراً يفرق به بين الحق والباطل حتى يصير من الموقنين. وهذا النور هو أصل الحكمة. وقال الله سبحانه "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ"[115] وقد بان لك أن التقوى باب الإيمان وباب الحكمة وباب المعرفة. فهي أصل الإيمان ونور الإيقان. قال سهل ابن عبد الله التستري[116] رحمه الله تعالى والتقوى باب الإيمان. وأنت يا أخي إذا تأملت ما ذكرته في هذا التنبيه علمت أن العبد لا يكون عارفا بجمال الله تعالى وجلاله، ومحبا له إلا بالتقوى. وبقدر ما يرزق منها تكون مرتبته في المعرفة والمحبة، ولا يكون سعيدا في الآخرة إلا إذا مات عارفا بالله محبا لله. فإن ادعيت ذلك يقال لك أين العلامات؟ فإن السيد العارف أبو القاسم الجنيد قدس الله سره تعالى روحه قال "لولا العلامات لادعى كل أحد سلوك الطريق"[117] وأنا أقول يا أرباب الدعاوى أين المعاني؟ وأُبيّن لك علامات ذلك. فأمّا علامة معرفته فدوام الفكر بقلبك في عظمته ولزوم خدمته وعبادته والاستحياء من غفلتك عن شكر نعمته والإعراض عن خليقته. قال الله تعالى " مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .."[118] أي ما عظموه حق عظمته لأنهم ما عرفوه حق معرفته. وأما علامة محبته فترك معصيته ودوام ذكره ومِدْحَته. وروى الإمام البيهقي بسنده عن النبي صعم أنه قال "علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله"[119] وروى أيضا هوعن النبي

---

[113] الغزالي، إحياء، ص900.

[114] الأنفال/29.

[115] البقرة/269.

[116] من أعلام التصوف (ت 283هـ).

[117] السهروردي أبو النجيب عبد القاهر (563) آداب المريدين، تحقيق: مناحم ميلسون، نشر الجامعة العبرية في أورشليم، القدس، 1977، ص 31

[118] الحج/74؛ الزمر/67؛ الأنعام/91.

[119] شعب الإيمان، 1، 367.

صعم أنه قال "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي"[120] فالصادق في محبة ربه لا يشتغل بذكر المخلوقين عن ذكر سيده وحبيبه ولا يأنس إلا بذكره. عن ذي النون المصري رحمه الله تعالى قال "كنت في الطواف فرأيت ولهان المجنون وهو يقول حبك قتلني وشوقك أتلفني والاتصال بك أسقمني فبعدت قلوب تحب غيرك وثكلت خواطر أنست بسواك"[121] وقال بعض العارفين أن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره فليس بهم في الدنيا مع حبه بلذة ولا يأملون في الآخرة من كرامته ثوابا أكبر عندهم من النظر إلى وجهه. وعن ذي النون أيضا أنه قال "الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع"[122] وفي رواية "غم واقع" وقال إبراهيم الخواص[123] قدس الله روحه "لا تطمع في لين القلب مع فضول الكلام ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشرف ولا تطمع في الأنس بالله مع الأنس بالمخلوقين"[124] وأنت يا أخي إذا لم يكن لك همة إلى نيل هذه المعاني فلا أقل من ترك الغيبة والكذب وترك الاستهزاء بالذاكرين واحتقار المسلمين. وهذه هي المهلكات المفسدات للدين. ثم مع ذلك كيف تدعي معرفته وتظهر محبته.

شعر

- تعصي الإله وأنت تظهر حبه عار عليك إذا فعلت شنيع
- لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع[125]

التنبيه السبع

في السبب الجالب

---

[120] شعب 1 الإيمان،1، 366.

[121] شعب الإيمان،1، 375.

[122] شعب الإيمان، 1، 375.

[123] شعب 1 الإيمان، 1، 377.

[124] أبو اسحق إبرهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص، من أعلام التصوف (ت291ه).

[125] قال الحسن بن محمد ابن الحنفية (شعب الإيمان،ج1، ص385).

للنظر والاستدلال ولكلٍ أقوال وأفعال وعقائد وأحوال. وذلك إنما هو التوفيق. قال الله سبحانه ".. وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا .."[126] الاية " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "[127] وقوله صعم "والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا"[128] الحديث. والهداية هي التوفيق. وحقيقته التأليف بين إرادة العبدِ الخيرَ وبين قضاء الله تعالى وإرادته له السعادةَ. فإذاً؛ لا بد للعبد من التوفيق في كل حركة وسكون ولمحة وطرفة كما قيل، شعر

- إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني اجتهاده[129]

فإذا حصل للعبد من الله سبحانه وتعالى عناية سابقة وهداية لاحقة أيقظه من رقدة الغفلة وناداه بلسان الحال يا ابن آدم! اعرف ربك، واعبد سيدك، أنا خالقك، أنا رازقك، أنا حافظك، أنا كافيك عن كل شيء، ولا يكفيك عني شيء. شعر

- وعندي من إذا عي يجد الركب بالسيري

وعندي كل ما تهوي فلا تنظر إلى غيري[130]

فيحمله ذلك على طلب النجاة والنظر في صنع مولاه الذي هداه ورزقه وحماه ونعمه وآواه. ويحمله ذلك على الاستدلال ببهجة الأفعال على الجمال وعظمة الجلال وسلوك الطريق بالتحقيق والبلوغ إلى عالم اليقين والوصال. فيتحير وتأخذه الدهشة ويتغير منه البال لما علم

---

[126] النور/21.

[127] القصص/56.

[128] البخاري الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، الطبعة الثالثة اليمامة – بيروت، 1407، كتاب المغازي(67)، باب غزوة الخندق (27)، رقم الحديث: 3878، ج 4، ص 1506.

[129] البيت للإمام علي كرم الله وجهه (ديوان الإمام علي، تحقيق عيد المنعم الخفاجي، دار ابن زيدون، ص 60)

[130] لم أقف على البيت المذكور في المصادر.

بالعجزعن إدراك الذات وصفات الكمال. ويقول يا غياث المستغيثين، يا دليل الحائرين، يا أنيس المنقطعين. شعر

- خذ بيدي فتحيرت فيكا يا دليلا لمن تحير فيكا[131]

ويعلم أن نهاية المعرفة أن لا معرفة كما روي عن أبي يزيد البستامي قدس الله تعالى روحه ورزقنا فتوحاته، قال غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء؛ توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي أولا حتى طلبته.[132] أراد رحمه الله تعالى أنه سبحانه هو الذي أحبه أولا ووفقه واختاره لحضرته واصطفاه لخدمته ونبهه على عظته وبعث النور إلى قلبه وبه شرح صدره. قال سبحانه "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه.."[133] وروي عن النبي صعم أنه قال "إن النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله هل لديك علامة يعرف بها قال نعم

[131] في نفح الطيب: "قد تحيرت فيك خذ بيدي يا دليلا لمن تحير فيكا" (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 1968، ج5، ص324.

[132]شعب الإيمان،ج1، ص461 ؛ تقسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الألى، 2006، بيروت، ج10، ص420؛ القرطبي: قوله تعالى : { ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم } فبدأ بالتوبة منه قال أبو زيد : غلطت في أربعة أشياء : في الابتداء مع الله تعالى ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني قال الله تعالى : { يحبهم ويحبونه } [المائدة : 54] وظننت أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي عني قال الله تعالى : { رضي الله عنهم ورضوا عنه } [المائدة : 119] وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني قال الله تعالى : { ولذكر الله أكبر } [العنكبوت : 45] وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي قال الله تعالى : { ثم تاب عليهم ليتوبوا } وقيل : المعنى ثم تاب عليهم ليثبتوا على التوبة كما قال تعالى : { يا أيها الذين آمنوا } [النساء : 136] وقيل : أي فسح لهم ولم يعجل عقابهم كما فعل بغيرهم قال جل وعز : { فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم } [النساء : 160].

[133] الزمر، 22.

التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله"[134] فأشار صعم إلى أنه إذا حصل للعبد التوفيق الإلهي والعناية الربانية المخطرة السماوية عرف ربه وعلم بجماله وكماله وجلاله وزهد في الدنيا الدنية ورغب في الآخرة العلية واجتهد في الوصول إلى الحضرة القدسية وشمّر في طلب مولاه بالعبادات البدنية والعلوم والمعارف القلبية والإكثار من النظر في الآيات والدلائل السمعية القرآنية والإعراض عن الأدلة العقلية فلا استعداد، ولا زاد للموت غير لك، كما أخبر به خير البرية صعم في الحديث من علامات دخول نور الإيمان الحقيقي إلى القلب وبه نال الزهد والتقوى ونطق بالحكمة ونهى النفس عن الهوى كما روي عنه صعم أنه قال " إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا ، وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ يُلَقَّى الْحِكْمَةَ " [135] من الله تعالى. علينا بذلك. ووفقنا لما يحبه ويرضاه ونوّر قلوبنا بنور معرفته، آمين، وصلى الله على محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

فهذه مهمات نفائس التنبيهات من المقدمة وهي الوسائل.

المصادر والمراجع

أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، تحقيق صلاح عرام، مؤسسة دار الشعب، 1998.

ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمربأنباء العمر لابن حجر العسقلاني، حسن حبشي، القاهرة 1415.

ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، مكتبة القدسي، 1351.

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة، بيروت 1405.

[134] شعب الإيمان، ج7، ص552 .

[135] شعب الإيمان، ج7، ص347.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجامع الصحيح المختصر، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، اليمامة – بيروت 1407.

البغدادي، هدية العارفين، استانبول 1951.

بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، الطبعة الأولى، المدينة المنورة.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، الجامع لشعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت.

التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968.

الجاحز، البيان والتبيين، اليبيان والتبيين تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، دار صعب، الطبعة الأولى ، بيروت 1968.

حاجي خليفة، كشف الظنون، استانبول 1941.

الخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله ، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، بيروت 1405.

ديوان أبي العتاهية، دار بيروت 1986.

ديوان الإمام علي، تحقيق عيد المنعم الخفاجي، دار ابن زيدون.

السخاوي، الضوء اللامع، مكتبة الحياة، بيروت.

السهروردي أبو النجيب عبد القاهر، آداب المريدين، تحقيق: مناحم ميلسون، نشر الجامعة العبرية في أورشليم، القدس.

الشافعي، محمد بن إدريس، الفقه الأكبر،مخطوط، مكتبة جامعة الملك سعود،214ف10) ونشر هديةً من مجلة الأزهر، جمادى الأولى، 1406.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسيرالطبري جامع البيان عن تأويل آي القرأن،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،الطبعة الألى، القاهرة 2001.

العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، مكتبة العلم الحديث.

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، تحقيق مجمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف، بيروت.

علي بن حسام الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت 1989.

عمر كحالة، معجم المؤلفين،مطبعة الترقي، دمشق 1957.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار زين الدين أبو الفضل العراقي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، بيروت، 2005؛ قواعد العقائد للغزالي، تحقيق: موسى محمد علي، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الثانية، 1405.

فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر، الطبعة الثانية، بيروت.

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، تقسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الألى، بيروت 2006.

القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

محمود توفيق محمد سعد، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، مكتبة وهبة الطبعة الأولى، القاهرة 1424.

المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر 1356.